جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية
كلّية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مادّة أعلام الأدب الجزائري
السنة الثانية ماستر
أ. مباركي

مولود فرعون

مواليد في 8 مارس 1913م في تيزي هيبل (تيزي وزو) من عائلة فقيرة. التحق بالمدرسة الابتدائية بقرية تاوريرت موسى المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة إلى مدرسته في ظروف صعبة ولكن مثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه تحت ضغط الاستعمار الفرنسي جعله من النجباء انتقل الى الثانوية بتيزي– وزو ثم مدرسة المعلمين ببوزريعة و التي تخرج منها معلما، ليعين في مدرسة قريته 1935 و في عام 1969 التحق بثانوية ثاوريرث موسى ، اشتغل كإطار تربوي في الأربعاء ناث ايراثن 1952، لينتهي به المشوار 1960 في العاصمة مديرا لمدرسة ثم مفتشا لمراكز اجتماعية و هي آخر وظيفة اشتغلها قبل أن يسقط شهيدا برصاص "منظّمة الجيش السرّي" الإرهابية الفرنسية 3أيام قبل التوقيع على "اتفاقيات إيفيان" يوم 18مارس 1962 م، التي تمخّض عنها إعلان وقف إطلاق النار وتنظيم استفتاء تقرير المصير حيث اقتحمت مجموعة منها مقر عمله وقتلته مع مجموعة من العمال.

وكان صاحب "الدروب الصاعدة" يعرف أنه مهدّد في أية لحظة بالموت، وكان يتوقّع ذلك: "أعرف أنني، ربما، سأموت اليوم... قد أُعدم بالرصاص غداً، ولكنني أعلم أنني أنتمي إلى شعب عظيم يملك عزّة النفس، استطاع أن يزعزع قرناً من السبات الذي أغرقه في ظلام دامس، وأن لا شيء يمكنه، منذ الآن، إعادته إلى سابق عهده."

أعمال مولود فرعون :

ابن الفقير Le fils du pauvre: كتبها في شهر أفريل سنة 1940، وصدرت لأوّل مرّة عن دار النشر Cahier du nouvel humanisme في باريس عام 1950، و في سنة 1954صدرت الطبعة الثانية

عن دار Editions du Seuil ، وهي سيرة ذاتية، وأول وأهم الأعمال التي ما يزال اهتمام النقاد بها متواصلا، تصف مظاهر البؤس التي عاشها بطلُها "فورولو" في طفولته و مراهقته وصراعه من أجل الحفاظ على قيمه و محاولته تغيير قدره عن طريق التعليم، رغم الظروف الصعبة، كما نقل الحياة اليومية في مسقط رأسه، في منطقة القبائل، خلال السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، لتصل نهاية العشرينات.

ولعل النجاح الذي حقّقه العمل، والذي تُرجم إلى 25 لغة عالمية من بينها العربية، كان بمثابة حافز له لتأليف مجموعة من الأعمال الأخرى، ذات الصلة بالموضوع المتناوَل يقول:"لقد كتبتُ "ابن الفقير" أثناء سنوات الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي. في هذه الرواية، يمكن القول إنني وضعت أفضل ما عندي". وعن سؤال طرحه الكاتب والصحافي الفرنسي موريس مونوابيه (1920 – 2016)، عن اعتبار الرواية سيرة ذاتية، يجيب: "نعم، أنا متمسّك، وبشكل كبير، بهذا الكتاب؛ أولاً، لكوني لم أكن آكل إلا عندما كنت أحسّ بالجوع. زيادة على ذلك، جعلتني هذه الرواية أنتبه إلى إمكاناتي. فالنجاح الكبير الذي حقّقته شجّعني على المضي قُدماً في كتابة روايات أخرى."

رواية "**الأرض والدم**" La terre et le sang (1953) : ذات طابع تراجيدي، حكاية صراع حول الأرض و الشرف في المجتمع القبائلي، حاول الكاتب الابتعاد عن السيرة الذاتية و أن يكتب رواية اجتماعية اثنولوجية تصور المجتمع القبائلي و قوانينه، موضوع الهوية و الأرض و الأسرة و الشرف .. "**الدروب الوعرة**" Les chemins qui montent (1957): واصل الكاتب سرد حياته بعد أن أنهى دراسته و صار معلما، كتكملة لروايته الأولى التي تحكي طفولته، تحكي صعوبة مواجهة الحياة خارج المدرسة في مجتمع قاس و ممزق بفعل الاستعمار . قارب موضوع المنفى بصعوباته ونتائجه على شخصية المنفي، بطلها عامر الشاب الأنيق و الطيب و المتفائل الذي يضطر للهجرة إلى فرنسا لتحقيق أحلامه ، لكنه يصطدم بالواقع المر هناك فيقرر العودة إلى موطنه و قريته رفقة زوجته الفرنسية ، لكنه يصطدم بالواقع القروي الجامد الدي لا يستجيب للتغيير ، فيدرك التناقض بين المجتمع القبائلي المحافظ، الثابت و بين الغرب المتطور و الدائم الحركة، هنا يفهم أن العلم وحده لا يكفي في مجتمع طبقي ، كما يظهر الوعي الاجتماعي و السياسي من خلال مشاهدته للظلم الذي تمارسه الإدارة الفرنسية و اليأس الذي يسكن

قلوب الفلاحين الذين طحنهم الفقر، ليدرك أن مشكلة القرية ليست فردية بل بنيوية مرتبطة بالاستعمار، الدروب الوعرة هي الدروب الجبلية الصعبة التي يسير فيها القرويون يوميا، وهي دروب الحياة الأصعب التي يخوضها هؤلاء للحفاظ على كرامتهم [البقاء].

النجاح ليس مجرد صعود فردي بل هو مواجهة طويلة مع المجتمع والتاريخ والواقع.

الرواية تنتهي بلا انتصار لأن الطريق مازال وعرا وطويلا [وعي ما قبل الثورة].

الطريق الى الحرية طويل، صعب مليء بالجراح لكنه ضروري.

صراع خارجي مع الاستعمار والظلم والواقع المغلق.

مرحلة تكون الوعي الاجتماعي بعد النجاح الفردي.

ابن الفقير رحلة داخل الذات .....يتعلم كيف يبني نفسه.

الدروب الوعرة خارج الذات.....تحرير الذات لا يكفي إذا كان المجتمع مقيدا، العلم لا يكفي .....وعي جمعي و مقاومة....مصير الفرد مرتبط بمصير الأمة.

ومما ميز هذه الروية و "الأرض و الدم "هو الشعور باللامكان في عالم اتسم بالدناءة و الانحطاط (الخيانة و الفقر)، إذ يحيا البطل حالة اغتراب أبدي ، فهو لا منتم سواء لفرنسا أو للجزائر.

هذه الروايات هي اعتراض انساني على الوجود الفرنسي في الجزائر.

مدينة الورود: 47 ــ 49 رواية هادئة تأملية وعميقة، تكشف الانسان من الداخل، الجمال يولد في قلوب الناس البسطاء الذين يصرون على الاحتفاظ بإنسانيتهم رغم القسوة [صدرت1950]

عيد الميلاد: رواية غير مكتملة، نشرت عام 1972م، بفضل صديقه ايمانويل روبلس، فصلها الأول تحت عنوان جبهة التحرير الوطني، الفصل الثاني رسالة الى ألبير كامو بعنوان "مصدر مصائبنا" والتي يعبر فيها عن خيبة أمله وعدم ثقته في الأفكار التي درسوها له في دار المعلمين.

أشعار سي محند:

(1960) عمد فرعون إلى جمع و ترجمة عدد كبير من قصائد الشاعر الأمازيغي سي موح اومحند، وإلى استخلاص المراحل الرئيسية لحياته، ومن خلال ذلك إلى تقديم شهادة إضافية على مقاومة الشعب الأمازيغي للاستعمار الفرنسي بواسطة الشعر التقليدي."

رسائل إلى الأصدقاء" (نشرها1969) نقرأ جزءا مهما من مراسلاته مع أساتذة وأدباء وناشرين، مثل إيمانويل روبليس وألبير كامو.

كتاب "**الذكر**ى" نشر عام 1972 ويتكون من نصوص متفرقة.

رواية "**مدينة الورود**" La ville des roses (نشر عام2007): رواية هادئة تأملية و عميقة، تكشف الإنسان من الداخل، من خلال قصة حب بين مدير مدرسة جزائري متزوج و معلمة فرنسية متزوجة في عز أحداث الحرب التحريرية 58-60 ، في الجزائر العاصمة، و لكن فرانسواز تميل إلى مدرس فرنسي عنصري، لا يفهم معنى الحب و الوفاء، وجعل منها استعارة لاستحالة التعايش بين الجزائريين والفرنسيين

في الجزائر. نشرت بعد مرور 45 سنة على اغتياله.

"**يوميات**" (1955–1962): تشكل شهادة قيمة على حرب الجزائر وصف فيها أحداث هذه الحرب الصغيرة والكبيرة، كما تشكل مرجعا مهما يسمح لنا بمتابعة تطور موقفه من هذه الحرب التي ستحصد مئات آلاف القتلى قبل أن تجعل منه ضحيتها الأخيرة.

أيام قبائلية: ويتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة طبع سنة 1954م.

تحليل رواية "ابن الفقير": تبدأ الرواية بوصف حياة الطفل فورولو في القرية الجبلية وفي أسرة فقيرة، يجتهد الأب ليوفر الحد الأدنى للعيش و رغم صعوبة حياته يصر على إدخال ابنه إلى المدرسة، وهناك يكتشف الطفل عالما جديدا، ويتفوق في دراسته بفضل مثابرته رغم فقره و عدم معرفته اللغة الفرنسية ، يحصل على منحة للالتحاق إلى دار المعلمين و يواصل التقدم رغم العقبات النفسية و المادية ليصبح معلما (العلم وسيلة للتحرر).

في هذه الرواية يظهر الفقر كقدر جماعي في القرية وهو الذي يحدد السلوك والعلاقات.

الرواية شهادة على الهوية والانتماء نقلت التقاليد القبائلية، اللغة، الطقوس، العائلة، التضامن، البساطة وصعوبة الحياة....

العنوان: جملة إسمية، دلالة الثبات والجمود الذي ميز حياة القرية.

ابن الفقير يحيل إلى الحالة الاجتماعية للبطل (القرية ثم المجتمع في تلك الفترة) .

وظيفة العنوان هي تحريك مخيلة القارئ من خلال استحضار بعض الأحداث التاريخية التي عاشتها الطبقة الفقيرة وتحريك مشاعر المتلقي للتعاطف مع البطل.

اختزل العنوان دلالات النص، فمن خلاله يمكن العبور إلى النص ومعرفة ما يحتويه من حمولات إيديولوجية، ثقافية واجتماعية (الفقر ليس حكما بالإعدام بل يمكن أن يكون نقطة انطلاق لبناء الذات يرسل من خلاله رسالة مفادها أن الإنسان ليس ما يملك بل ما يصنع بنفسه) .

الأسلوب: لغة بسيطة وواضحة تناسب السرد الذاتي من منظور طفل، يمزج بين الوصف الواقعي و العاطفة مع التركيز على التفاصيل اليومية الصغيرة لتقديم صورة كاملة عن القرية.

السرد: تعتمد على السرد الذاتي، يحكي لنا البطل طفولته من داخل التجربة، مما يمنح القارئ إمكانية التعرف على وعيه و إحساسه بالفقر و تطوره الفكري و النفسي ، كما اعتمد على شخصيات متحولة تنمو مع تقدم الأحداث و تطور الوعي عند الراوي "ليست جاهزة"، فالبطل هو محور الأحداث و باقي الشخصيات تؤدي أدوارا مختلفة في تكوينه النفسي و الاجتماعي. فورولو هو القناع الادبي للكاتب وهو الراوي و الشخصية الرئيسية.

البنية السوسيولوجية و النفسية للبطل: ابن أسرة قبائلية فقيرة، بيئة جبلية قاسية تعتمد على العمل القاسي للعيش، وهذا ما خلق روابط قوية بين الأفراد والأسر.

هذا الانتماء يعطي للبطل صلابة و قدرة على تحمل المشاق، و شعور عميق بالارتباط بالأرض

والجذور، يعيش صراعا داخليا بسبب وعي قاس بالفقر (شعور دائم بالنقص)، وإحساس عميق بالجدارة (العلم وسيلة وجودية للوصول إلى الخلاص) ، و هذه الازدواجية هي المحرك الأساسي لتطوره.
تحول درامي عاشه البطل، عندما دخل إلى المدرسة، فبعد أن كان يرى الفقر شيء طبيعي، يكتشف وجود أغنياء، مما يخلق عنده ألم داخلي و وعي أن الفقر ليس قدر (إمكانية أيجاد حل) .
استطاع البطل أن يبني ذاته و ينتصر على الدونية (معلم) ، وهو يرمز إلى جيل كامل يرفض أن يبقى أسير شروطه الاجتماعية الوعي الوطني قبل الثورة (الإيمان بالعقل كسبيل لتحرير الذات)
الأب: حضوره السردي غير مباشر، لا يتكلم كثيرا، وجهده هو جهد جسدي، يتواصل بالنظرات والايماءات. مشاعره لا تقال بل تفهم، في داخله تعب متراكم نتيجة الفقر والعمل الشاق، لكنه صبور وشامخ. رفض أن يهزم ابنه كما هزم هو لذلك أصر على تعليمه، لأن العلم هو المنفذ الأخير الدي لم يغلق بعد. هو يعي جيدا الحدود، لكنه مصر على تجاوزها من خلال الابن.
المعلم: حضر من خلال 3 نماذج : الصارم: يمثل السلطة خلق عند البطل شعورا بالتحدي.
المتحيز: يعمق وعيه بظلم الاستعمار، وهناك المعلم الإنساني الذي ثمن المعرفة كقيمة إنسانية وأعطى للطفل الثقة بالنفس.
رفاق الدراسة: إبراز الفوارق الاجتماعية بين القرويين وأبناء المعمرين.
المدرسة هي فضاء اختيار، من خلالها ينتقل الطفل من وعي القرية إلى الوعي الاجتماعي.
القرية " الشخصية الجماعية": المكان ليس إطار جغرافي فحسب، بل هو عنصر دلالي يعكس الحالة النفسية والاجتماعية للشخصيات، والقرية في "ابن الفقير" مكان متكون من الحرمان والقسوة لكنه فضاء للإصرار و القوة و الصمود و التضامن، منه يستمد القبائلي كرامته و هويته و انتماؤه.
يعد مولود فرعون واحدا من أبرز الأصوات الروائية الجزائرية التي صورت المجتمع في حقبة الاستعمار الفرنسي، تنتمي رواياته إلى الواقعية الاجتماعية التي تهدف إلى إبراز حياة الطبقة الفقيرة ومعاناتها وكفاحها من أجل الكرامة والبحث عن معنى الوجود.